معالم منهجية ابن عبد البر في التمهيد والاستذكار مع المقارنة بينهما

Features of Ibn Abd al-Barr's methodology in preamble and memorization, with comparison between them

إعداد

الزهراء بنت عبد الرحمن المطرودي

ElZahra Abd al-Rahman al-Matroudi

جامعة الملك سعود – كلية التربية - قسم الدراسات الإسلامية – مسار التفسير

Doi: 10.33850/jasis.2022.234494

الاستلام : ٢٨/ ١ /٢٠٢٢ القبول : ١٢ / ٢ /٢٠٢٢

المطرودي ، الزهراء عبد الرحمن (٢٠٢٢). معالم منهجية ابن عبد البر في التمهيد والاستذكار مع المقارنة بينهما . ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، مج (٦)،ع (١٩)، ص ص ٣٧-٦٢.

معالم منهجية ابن عبد البر في التمهيد والاستذكار مع المقارنة بينهما

المستخلص:

يعنى هذا البحث بالتعريف بمعالم منهجية ابن عبد البر في شرح التمهيد والاستذكار ومقارنة بين ثلاث مواضع فيهما، ومن أهداف البحث : التعريف بالإمام ابن عبد البر، التعريف بكتابي التمهيد والاستذكار في شرح الموطأ، إبراز وجوه الاتفاق والاختلاف بين التمهيد والاستذكار، دراسة منهج ابن عبد البر في الكتابين وعلاقة الكتابيين ببعضهما، وقد سلكت فيه المنهج الوصفي، _برزت الصنعة الحديثية في التمهيد، ومن ذلك: ذِكر الأحاديث بأسانيدها سواء كانت شواهد ومتابعات أو أدلة في الخلاف، وذكر متن الحديث ولو طال ولا يقتصر على الشاهد _في الأكثر من فعله، وبرزت الصنعة الفقهية في الاستذكار، *وتتجلى في العناصر التالية:* تحرير محل النزاع، ذكر سبب الخلاف، ذكر الخلاف على المذاهب الأربعة وغيرهم من العلماء، ذكر الأدلة في المسألة، ذكر أقوال الصحابة والتابعين وذكر اتفاقهم أو اختلافهم فيما بينهم، ذكر الأقوال داخل المذهب المالكي، تحديد قول الجمهور، مناقشة الأدلة وبيان ضعفها أو قوتها.

الكلمات المفتاحية: التمهيد، الاستذكار، الإمام ابن عبد البر، مقارنة، منهجية ابن عبد البر، المقارنة بين التمهيد والاستذكار .

Abstract:

This research is concerned with defining the features of Ibn Abd al-Barr's methodology in explaining the preface and remembrance, and comparing three places in them. Among the research objectives: Introducing Imam Ibn Abd al-Bar, introducing the Book of Preface and Remembrance in to explain Al Muwatta, Highlighting the aspects of agreement and difference between Preface and Remembrance, A study of Ibn Abdul-Barr's approach to the two books and the relationship of the two books to each other , And I followed the descriptive approach in it, _ the hadith craftsmanship emerged in the Preface, and from that: mentioning the hadiths with their chains of transmission, whether they were witnesses and follow-ups or evidence in the dispute , and he mentioned the body of the hadith even if it was long and not limited to the witness _ in most of his actions, and it emerged The jurisprudential profession in recollection It is manifested in the

following elements: Editing the subject of dispute, mentioning the reason for the dispute, mentioning the disagreement on the four schools of thought and other scholars, mentioning the evidence on the issue, mentioning the sayings of the Companions and the followers mentioning their agreement or disagreement among them, mentioning Statements within the Maliki school of thought, defining the saying of the public, Discussing the evidence and indicating its weakness or strength .

key words : Preamble - Remembrance - Imam Ibn Abd al-Bar - Comparison - Methodology of Ibn Abd al-Barr - Comparison between Preamble and Remembrance.

تمهيد :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، وعلى علماء أمته الذين أهدوا عمرهم للعلم والتعليم، والتأليف والتصنيف.

وبعد فالمقارنة أسلوب قراني بديع والقارئ لكتاب الله تنهمر على عقله صور من المقارنات يحفل بها النص الإلهي بين الدنيا والآخرة، الإسلام والكفر، الغنى والفقر، في مطالع السور أو أثنائها، في أسلوب تعليم قراني لا نظير له، ومما اشتهر أن "المقارنة هي أم العلوم"، ومظهرة المحاسن وقديما أنشد الحادي: والضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتميز الأشياء، فالمقارنة نشاط منطقي، يبين أوجه الشبه والاختلاف وجوانب القوة والضعف.

وفي هذه الصفحات بإذن الله تعريف بمعالم منهجية ابن عبد البر في شرح التمهيد والاستذكار ومقارنة بين ثلاث مواضع فيهما، لها الحديث نفسه من الموطأ.

أهمية البحث:

_ دراسة آثار إمام مجتهد، قال عنه الذهبي _رحمه الله _ وهو الخبير بمعادن الرجال_ "ولا ينكر له ذلك، فإنه ممن بلغ رتبة الأئمة المجتهدين، ومن نظر في مصنفاته، بان له منزلته من سعة العلم، وقوة الفهم، وسيلان الذهن"[١].

_قوة الصنعة الحديثية في المؤلفيَن، وقد أثنى عليه ابن تيمية في هذا فقال: "وأبو عمر من أعلم الناس بالآثار والتميز بين صحيحيها وسقيمها"[٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٥٣/١٨).

مشكلة البحث:

الإجابة عن سؤال: لماذا ألف ابن عبد البر شرحين لموطأ الإمام مالك، هل هما كتابان متشابهان؟ وما منهجه فيهما؟ هل ألفهما في نفس الوقت؟ أم أن هناك كتاب متقدم والآخر متأخر؟ ولماذا يحيل ابن عبد البر في كل كتاب على الآخر.

منهج البحث:

المنهج الوصفي.

أهداف البحث:

١. التعريف بالإمام ابن عبد البر.
٢. التعريف بكتابي التمهيد والاستذكار في شرح الموطأ.
٣. إبراز وجوه الاتفاق والاختلاف بين التمهيد والاستذكار.
٤. دراسة منهج ابن عبد البر في الكتابين وعلاقة الكتابيين ببعضهما.

خطة البحث:

وستكون خطة البحث في مقدمة وسبعة مطالب، وخاتمة، كالتالي:

المطلب الأول: ترجمة ابن عبد البر
المطلب الثاني: تعريف بكتاب التمهيد
المطلب الثالث: تعريف بكتاب الاستذكار
المطلب الرابع: أوجه الاتفاق بين التمهيد والاستذكار
المطلب الخامس: أوجه الاختلاف بين التمهيد والاستذكار
المطلب السادس: العلاقة بين التمهيد والاستذكار
المطلب السابع: المقارنة بين منهجية التمهيد والاستذكار
الخاتمة
قائمة المراجع

وقد اخترت ثلاث مواضع للمقارنة لها الحديث نفسه من الموطأ وهي كالتالي:

الموضع الأول: حديث مالك عن جعفر بن محمد بن علي، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال: «ما أدري كيف أصنع في أمرهم؟» فقال عبد الرحمن بن عوف: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»، وهو في الجزء الثاني في التمهيد، والثالث من الاستذكار[٣] .

الموضع الثاني: حديث محمد بن يحيى بن حبان، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نهى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب

([٢]) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٥٧)
([٣]) التمهيد(٢/١١٤-١٣٢)، الاستذكار(٣/٢٤١-٢٤٤)

الشمس، وعن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس" وهو من الجزء الثالث عشر في التمهيد، والأول من الاستذكار [٤].

الموضع الثالث: من بلاغات مالك: ذكر مالك أنه بلغه عن بسر بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا شهدت إحداكن صلاة العشاء فلا تمسن طيبا، وهو في الجزء الرابع والعشرون من التمهيد، والجزء الثاني من الاستذكار [٥].

المطلب الأول:

ترجمة ابن عبد البر

هو حافظ المغرب وإمام أهل الأندلس: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري _نسبة إلى النمر بن قاسط_ القرطبي.

مولده: سنة ثمان وستين وثلاثمائة، في قرطبة حاضرة الأندلس المفقود والحديث عن ترجمته تثير الأشجان، وتبعث الحنين.

منزلته العلمية: هو إمام مجتهد حافظ، مكثر، عالم بالقراءات وبالخلاف وعلوم الحديث والرجال، والأنساب والأخبار والأدب، لم يخرج من الأندلس بل انتقل بين شرقها وغربها، تتلمذ عليه كثيرون، فيهم من جلة أهل العلم والمشاهير، منهم أبو محمد ابن حزم، ولي القضاء في شنترين، ولشبونة عاصمة البرتغال اليوم!

صفاته: كان إماما دينا، ثقة، متقنا، علامة، متبحرا، صاحب سنة واتباع، في أصول الديانة على مذهب السلف، لم يدخل في علم الكلام.

وقد لمست في هذا البحث أدب ابن عبد البر مع العلماء _رغم ذكره للخلاف بينهم_ وحسن عبارته في نقد الدليل دون الانتقاص من العلماء، كما لمست فيه توقيره للنص وتقديمه له على كلام الرجال.

مذهبه: نقل الذهبي عن ابن أبي نصر الحميدي _ المؤرخ الأندلسي_ (٤٨٨ه) قوله: "وكان في أول زمانه ظاهري المذهب مدة طويلة، ثم رجع إلى القول بالقياس من غير تقليد أحد، إلا أنه كان كثيرا ما يميل إلى مذهب الشافعي".

والذي وجدته في ترجمته عند للحميدي قوله: "وكان يميل في الفقه إلى أقوال الشافعي"[٦].

وقد ناقش الذهبي الحميدي قائلا: " كذا قال وإنما المعروف أنه مالكي، وكان أولا أثريا ظاهريا فيما قيل، ثم تحول مالكيا مع ميل بين إلى فقه الشافعي في مسائل" .

وفي كتابيه التمهيد والاستذكار لم يظهر لي أثر الظاهرية فيما عدا إشارته إلى مذهب داود بن علي ضمن مذاهب العلماء في المسائل الفقهية التي يتناولها، ولعل وصفه

---

(٤) التمهيد (١٣/٣٠-٤٩)، الاستذكار (١/١١٢-١١٥)

(٥) التمهيد (٢٤/ ١٧١-١٧٥)، الاستذكار (٢/٤٦٦- ٤٦٧)

(٦) جذوة المقتبس (١/٣٦٧).

بالظاهرية لانتشارها في قرطبة في ذلك الحين، ولما يظهر لابن عبد البر من عناية بالنصوص، والجمع بين الأحاديث وتقديمها على القياس، وبالنظر لكتب ابن عبد البر يتبين أنه مالكي وذلك: لعنايته بموطأ مالك فقد اختصره وشرحه في أكثر من شرح كالتمهيد والاستذكار واختصار التمهيد، كما أنه ألف كتاب الكافي في الفقه المالكي، وهو يشير إلى المالكية بقوله أصحابنا، والذي يظهر لي والله أعلم أنه على إمام مجتهد يرجح بناء على ما يظهر له من الأدلة وإن كان بداية تفقه بالفقه المالكي، قال الذهبي _ الخبير بمعادن الرجال_ "ولا ينكر له ذلك، فإنه ممن بلغ رتبة الأئمة المجتهدين، ومن نظر في مصنفاته، بان له منزلته من سعة العلم، وقوة الفهم، وسيلان الذهن"[٧].

مؤلفاته: وقبل تعدادها يحسن ذكر جملة أنيق لابن حزم يقول فيها واصفا ابن عبد البر: **"انظر إلى آثاره تغنيك عن أخباره"**، فقد سطر هذا الإمام إنتاجا علميا يتميز بالأصالة في فنون عدة، **ومن مؤلفاته:**

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.
- الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار.
- تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.
- الاستيعاب في أسماء الصحابة.
- الاستغناء في معرفة المشهورين من أهل العلم بالكنى.
- جامع بيان العلم وفضله.
- الإنباه على قبائل الرواة.
- الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء.
- الدرر في اختصار المغازي والسير.
- القصد والأمم في نسب العرب والعجم.
- الشواهد في إثبات خبر الواحد.
- التقصي في اختصار الموطأ.
- الكافي في مذهب مالك.

وفاته: توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة، في مدينة شاطبة، وهو في الخامسة والتسعون رحمه الله رحمة واسعة[٨].

المطلب الثاني:

تعريف بكتاب التمهيد

---

(٧) سير أعلام النبلاء (١٥٣/١٨).

(٨) ينظر: جذوة المقتبس (٣٦٧/١)، بغية الملتمس (٤٨٩/١)، سير أعلام النبلاء (١٥٣/١٨)، نفح الطيب (٢٩/٤)، الأعلام (١٢٦/٤).

بدايةً: التمهيد هو شرح لموطأ[٩] الإمام مالك رحمه الله، على رواية يحيى بن يحيى الليثي[١٠] وللموطأ مائة شرح أو تزيد، ومن أجلّها هذا الشرح، وهو من الأصول المهمة: وقد أبان الذهبي عن هذا في نقل له عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام: "ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل: "المحلى" لابن حزم وكتاب "المغني" للشيخ موفق الدين، وأضاف الذهبي قائلا: لقد صدق الشيخ عز الدين، وثالثهما: "السنن الكبير" للبيهقي، ورابعها: "التمهيد" لابن عبد البر، **فمن حصل هذه الدواوين وكان من أذكياء المفتين وأدمن المطالعة فيها، فهو العالم حقا"**[١١]، فهذا بيان لمكانة التمهيد بجعله رابع الأصول للعالم وللمفتي ، **وسبب تأليف ابن عبد البر له:** هو رغبة داخلية انقدحت في نفسه لما رأى من صنيع علماء المالكية الذين يعتنون بالمتصل في الموطأ ويخرّجونه ويتركون المرسل _رغم أنهم يعتقدون حجية مراسيل الثقات ، ووجوب العمل بها. **وقد أسماه: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،** وقد مكث ابن عبد البر رحمه الله في تأليفه ثلاثون عاما _ ويتبين من ذلك: طول نفسه العلمي وصبره ودأبه، أسأل الله أن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خيرا، وقد أنشد صاحب التمهيد في وصف كتابه – كما ينشد محب في وصف محبوبه:

سمير فؤادي مذ ثلاثون حجة ... وصيقل ذهني والمفرج عن همي
بسطت لكم فيه كلام نبيكم ... بما في معانيه من الفقه والعلم
وفيه من الآثار ما يقتدى به ... إلى البر والتقوى وينهى عن الظلم

وقال عن أصالة التمهيد أبو علي الغساني _محدث الأندلس _: " كتاب لم يتقدمه أحد"[١٢].

---

(٩) يعد موطأ مالك، من أقدم مصنفات الحديث والفقه معا، وهو مرتب على حسب الأبواب الفقهية.

(١٠) روى الموطأ عن مالك رحمه الله تلاميذ كثر وروايات متعددة، أوصل بعضهم هذه الروايات إلى ١٢٠ رواية، وحصرها آخرون في ٢١رواية، وبين الروايات بعض الفروق، ولعل من أسباب ذلك أن مالك رحمه الله كان يعدل في كتابه فيزيد وينقص بحسب اجتهاده، وأشهر هذه الروايات رواية الفقيه الأندلسي أو عاقل الأندلس _ كما أسماه الإمام مالك_: "يحي بن يحي الليثي الأندلسي" فهي الرواية المنتشرة والمتداولة، وممن اعتمدها في شرحه للموطأ: الباجي في المنتقى، والسيوطي في تنوير الحوالك، وهذه الرواية هي المقصودة عند الحديث عن موطأ مالك في هذا العصر، ينظر: الموطآت ص (٧٠).

(١١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٧٨).

(١٢) سير أعلام النبلاء (١٥٣/١٨).

ترتيب الكتاب:

رتبه **حسب حروف الهجاء لشيوخ مالك**[١٣]، وقد يسأل الناظر في فهرس الكتاب فيقول: "إني أجد باب الميم بعد الطاء وباب الصاد يعد النون وباب السين بعد القاف، فكيف يكون مرتبا على الحروف وهو على هذا الحال"

حقا هذه ملاحظة جديرة بالذكر، وهي سبب آخر في صعوبة الوصول إلى الأحاديث في التمهيد إذا أن عبد البر اتبع **الترتيب المغربي** لحروف المعجم، والترتيب كالتالي: **(أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ي)**

قال الأعشى في صبحه: " اعلم أن ترتيب الحروف على ضربين: مفرد ومزدوج؛ وبين أهل الشرق وأهل الغرب في كل من النوعين خلاف في الترتيب، أما المفرد فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب: (**أب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ ولا ي)** وأما أهل الغرب فإنهم يرتبونه على هذا الترتيب: **(أب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ ولا ي)** وأما المزدوج فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب: **أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ** ، وأهل الغرب يرتبونه على هذا الترتيب**: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ظغش"** [١٤] فأبان الأعشى عن نوعين من الترتيب للحروف (المفرد) وقسيمه (المزدوج) كما سماهما أو (الهجائي ويدعى أيضا: بالألفابائي) وقسيمه (الأبجدي)، وأبان اختلاف المشارقة والمغاربة فيهما، و أن المشارقة والمغاربة يتفقون في الترتيب حتى حرف الزاي ثم يفترقون بعدها.

وقد اتبع ابن عبد البر الترتيب بالحروف على **النهج المغربي** في عدد من كتبه: **(التمهيد)، و(الاستيعاب في معرفة الأصحاب)**[١٥] **و(الاستغناء في معرفة المشهورين من أهل العلم بالكنى)**[١٦]

وله في ذلك سلف في الأمرين كلاهما: الترتيب على شيوخ مالك، واستخدام الحروف الألفبائية، فقد رتب _ عالم المغرب، المحدث والأصولي _ أبو **الحسن القابسي** كتاب **الملخص للموطأ** على شيوخ مالك وبهذه الحروف المعجمية المغربية.

---

(١٣) وقد أعيد ترتيب الكتاب على نسق الموطأ في أعمال كثيرة، ومن الأعمال في ذلك: موسوعة شروح الموطأ بإشراف الدكتور: عبد الله التركي.

(١٤) صبح الأعشى (٢٣/٣).

(١٥) عند تحقيق الكتاب تم تعديله للحروف المشرقية.

(١٦) وهو كتاب مطبوع في ثلاثة أجزاء، بتحقيق د/عبد الله السوالمة ، ونشر دار ابن تيمية، الرياض ١٤٠٥ه.

وسؤال هذا البحث ما منهجية ابن عبد البر في التمهيد؟ لا أحد أفضل في الإجابة عليه من راقم الكتاب ومؤلفه، فقد قدم ابن عبد البر لكتابه بمقدمة ذكر سبب تأليفه للكتاب ومنهجيته فيه، لخصتها في ما يلي:

وَصلُ المقطوع، وإسنادُ المرسل، ذِكر فقه الحديث ومعانيه وأحكامه ، ذِكرُ أحوال الرواة (أنسابهم وأسنانهم ومنازلهم وفياتهم) باختصار، ذِكرُ الشواهد من الأحاديث بطرقها للمعاني وللأسانيد، شَرحُ الغريب من الألفاظ، وسيأتي تفصيل لهذه المنهجية _ أزاوج فيها بين ما ذكره ابن عبد البر وما لحظته من خلال الدراسة .

المطلب الثالث:

تعريف بكتاب الاستذكار

هو شرح ثانٍ من الإمام الموسوعي ابن عبد البر، لموطأ الإمام مالك، على رواية يحيى بن يحيى الليثي، وقد أسمى ابن عبد البر كتابه: (**بالاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار**)، وهو مرتب على أبواب الموطأ، وقد ألفه بعد التمهيد، وذكر في **مقدمته سبب تأليفه لهذا الكتاب:** وذلك أن جماعة من أهل العلم سألوه مشافهة وكتابة أن يرتب لهم التمهيد على تبويب الموطأ، وأن يشرح أقوال الصحابة والتابعين، وأقوال مالك في الموطأ، وخلاف الفقهاء بإيجاز، **فأجاب ما طلبوه وأضاف إليه:** ترجمة من لم يترجم لهم في التمهيد من غير الصحابة، وهذا يدل على تمكنه العلمي وبراعته في تأليفه لشرحين لمتن واحد.

فالصنعة الفقهية غالبة في هذا الكتاب فقد قال ابن عبد البر في المقدمة: "ولم أذكر في كتابي هذا شيئا من معاني النقل وغوائله، وعلم طرقه وعلله، ولا من فضائل مالك - رحمه الله - وأخباره إذ ذاك كله مذكور بأتم ذكر وأكمله في (كتاب التمهيد) والحمد لله"، **قال الحافظ ابن كثير:**" وقد اعتنى الناس بكتابه " الموطأ "، وعلقوا كتباً جمة. ومن أجود ذلك كتابا " التمهيد "، و " الاستذكار "، للشيخ أبي عمر بن عبد البر النمري القرطبي، رحمه الله"[١٧].

([١٧]) الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث (ص: ٣١)

المطلب الرابع:

أوجه الاتفاق بين التمهيد والاستذكار

العنصر	وجه الاتفاق
المؤلف	ابن عبد البر.
المتن المشروح	الموطأ للإمام مالك.
المحتوى	الصنعة الحديثية والفقهية.
وقت التأليف	متداخل
مكان التأليف العام	الأندلس
المنهجية	ذكر المنهج في مقدمة الكتاب
نوع الأخبار المعتنى بها	اشترك الكتابين في العناية بالأحاديث المرفوعة

المطلب الخامس:

أوجه الاختلاف بين التمهيد والاستذكار

العناصر	التمهيد	الاستذكار
الحجم	أطول يبلغ عدد أجزاءه ٢٤ جزء	أوجز يبلغ ٨ أجزاء (ثلث التمهيد)
ترتيب المادة	مرتب حسب شيوخ مالك	مرتب حسب الموطأ
الفن الغالب	مهتم بالصنعة الحديثية	مهتم بالصنعة الفقهية
الشواهد والمتابعات	كثيرة	قليلة
سهولة الوصول	الوصول شاق	الوصول سهل
اجتماع المادة العلمية	غير مجتمعة في محل واحد	مجتمعة في أبواب في الأغلب
بداية العمل على الكتاب	متقدم زمنيا في البدء	متأخر زمنيا في البدء
مدة العمل على الكتاب	مدة طويلة ٣٠ سنة	مدة أقصر
العناية بالمرفوع أو الموقوف	العناية بما ذكر في الموطأ من المرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث	العناية بما ذكر في الموطأ من بالمرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث والموقوف من أقوال الصحابة وكذلك أقوال مالك
عدد الإحالات على الكتاب الآخر	٦ إحالات	١٠٤٠ إحالة
سبب التأليف	برغبة المؤلف	بطلب أهل العلم مشافهة ومكاتبة

المطلب السادس:

العلاقة بين التمهيد والاستذكار

أرى أن العلاقة بين التمهيد والاستذكار هي علاقة تكاملية، وقد ينقدح سؤال في الذهن مفاده:

هل التمهيد شامل لكل ما في الاستذكار فيغني عنه؟ وهل الاستذكار هو ملخص للتمهيد فيكفي عنه؟ هل الاستذكار هو إعادة ترتيب للتمهيد على أبواب الموطأ ؟

والإجابة : كلا! لم يكن واحد منهما بل إن كل منهما مشروع مختلف أو موسوعة علمية، وبينهما شيء من التكرار في المسائل الفقهية، كما أن ابن عبد البر حرص كثيرا في الاستذكار على عدم تكرار الشواهد التي في التمهيد فيوجد في الاستذكار ١٠٤٠ إحالة على التمهيد ، وفي التمهيد ست إحالات فقط على الاستذكار!

وهذا بدوره يطرح سؤال آخر:

كيف يحيل التمهيد على الاستذكار؟ هل هذا من صنع ابن عبد البر في المتن أو من صنيع المحقق في الحاشية؟ هل ألف التمهيد قبل الاستذكار؟

بل هو في المتن، ولعل سبب ذلك: أن ابن عبد البر مكث زمنا طويلا في تأليف التمهيد قرابة الثلاثين سنة _كما سبق_ وخلال هذا الوقت ألف الاستذكار.

فالتمهيد متقدم في البدء على الاستذكار، فهناك نوع من التداخل في وقت تأليفهما، وإن كان التمهيد أسبق، كما أن التمهيد مرتب على الشيوخ، والاستذكار مرتب على الأبواب، فيتناول أحاديثا في الاستذكار قبل تناولها في التمهيد، ولذا أحال عليها.

أستطيع القول _ في وجهة نظر شخصية_: أن التمهيد هو أجل من الاستذكار وأعمق وأطول نفسا؛ ولكن مَنع كثير من السابقين من الاستفادة منه هو صعوبة الوصول للحديث.

ورغم تفضيل التمهيد فإن الاستذكار يتميز بالإيجاز وسهولة الوصول للأحاديث، والتركيز على الصنعة الفقهية، وأيضا: فيه فوائد واستنباطات لفقه الحديث تخرج عن الصنعة الحديثية والفقهية.

وقد يسأل طالب الفقه سؤالا هل الأفضل أن أراجع التمهيد لمسألتي أو الاستذكار؟ فمن وجهة نظري الشخصية أنصح الباحث بمراجعة التمهيد لسببين:

-طول نفس ابن عبد البر في تحرير المسائل الفقهية في التمهيد.

_ تعزيزها بالشواهد المتعددة، فقد يجد في الاستذكار إشارة سريعة لحديث ضعيف دون أن يجد نصه مثلا، أو الشواهد التي تقويه، أما من يراجع مسألة أو بابا على عجل فالاستذكار نافع في هذا الحال.

واستنانا بما فعله صلى الله عليه وسلم من الخطوط لتوضيح (الأجل والعمل) ، وما فعله العلماء السابقون من استخدام أدوات عصرهم، فهذا رسم بياني يدعى

(انفوجرافيك) وهو فن تحويل البيانات والمعلومات والمفاهيم إلى صور ورسوم يمكن فهمها واستيعابها بوضوح وتشويق، رسم بياني لما سبق عرضه من المعلومات:

المطلب السابع: مقارنة داخلية بين منهجية التمهيد والاستذكار

التمهيد	الاستذكار
أولا: التبويب : ١-بوب ابن عبد البر كتابه بذكر "حرف" الباب. ٢- ويلي ذلك ذكر اسم الراوي (شيخ مالك). مثال ذلك: "باب الجيم جعفر بن محمد بن علي بن حسين ابن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم". ٣- التعريف بالراوي (شيخ مالك) مفصلا: يذكر فيها نسبه، وفضائله، ووفاته، ودرجته وعدد أحاديثه في الموطأ، ونوعها من حيث الاتصال والانقطاع. ٤- يبدأ الشرح بذكر رقم الحديث عن شيخ مالك مثال ذلك: "حديث سادس عن جعفر بن محمد"، ثم يذكر كلا من سند الحديث ومتنه. ولم يلتفت لتبويب الموطأ، أو لمناسبة الحديث للترجمة؛ لأنه رتبه على خلاف تلك الكتب والأبواب. ولم أجد إشارة لأصول الكتاب الأخرى .	**أولا: التبويب :** مرتب على أبواب الموطأ، فيذكر الكتاب والباب ثم يذكر سند الحديث ومتنه. لم أجده تحدث عن مناسبة الحديث للباب. ولم أجد إشارة لأصول الكتاب الأخرى.
ثانيا: المعاني اللغوية والغريب : يذكر ابن عبد البر المعاني اللغوية للغريب من الألفاظ بإيجاز، ويذكر لها شواهد من الشعر. **مثال ذلك: "**والتفلة هي: غير المتطيبة؛ لأن التفل نتن الريح. يقال: امرأة تفلة؛ إذا كانت متغيرة الريح بنتن، أو ريح غير طيبة، ومنه قول امرئ القيس: إذا ما الضجيج ابتزها من ثيابها تميل عليه هونة غير متفال، وقال الكميت: فيهن آنسة الحديث حيية ليست بفاحشة ولا متفال"	**ثانيا: المعاني اللغوية والغريب :** **يذكر المعاني اللغوية بإيجاز ويحيل على التمهيد للاستزادة وللشواهد الشعرية** مثال ذلك: "والمتفلة المتغيرة الريح بغير طيب "

ثالثا: الصنعة الحديثية:

أطال ابن عبد البر النفس في الصنعة الحديثية، وهو إمام ماهر حاذق، وقد أثنى عليه ابن تيمية في هذا فقال: "وأبو عمر من أعلم الناس بالآثار والتميز بين صحيحها وسقيمها"[١٨] والصنعة الحديثية من أبرز عناصر قوة هذا الكتاب ومما يمكن أن يشار إليه ما يلي:

أ/ الأسانيد

١_وصل المنقطع والمرسل وبلاغات مالك بأسانيده ، أو بأسانيد غيره، مثل الطحاوي، وعبد الرزاق، وأبو داود.

وهذا عمل ضخم وجهد كبير، لم؟

يتبين هذا أكثر إذا علمنا أن العلماء يقدرون الأحاديث المسندة في الموطأ بثلث الموطأ فحسب .

مثال ذلك :

حديث من بلاغات مالك، وهو منقطع بين مالك وبسر بن سعيد، وهذا متنه:

"حديث مالك أنه بلغه عن بسر بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا شهدت إحداكن صلاة العشاء فلا تمسن طيبا "

فوصله ابن عبد البر بأربع من الأسانيد من طريقه وهذا إسناد واحد منها:

"حدثنا عبد الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا محمد بن غالب حدثنا أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح بن القاسم عن محمد بن عجلان عن بكير بن الأشج عن بسر بن سعيد عن زينب امرأة ابن مسعود قالت قال رسول الله صلى

ثالثا: الصنعة الحديثية:

اختصر ابن عبد البر فيها واقتصر فيها على ما دعت الحاجة إليه، فالاستذكار فيه صنعة حديثية لكنها ليست غالبة أو كثيرة بل الفقه أغلب عليه، ومن الصنعة الحديثية فيه:

١-يحكم على حديث الباب بإيجاز، ومن أمثلة ذلك قوله:

"وهذا الحديث حديث مشهور مسند صحيح"

٢-يفاضل في درجات الصحة للحديث:

ومثال ذلك: حديث ذكره فقال"حدثنا عبد الوارث حدثنا قاسم حدثنا أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن أبي العالية عن بن عباس قال حدثني رجال مرضيون منهم عمر - وأرضاهم عندي عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس ولا بعد العصر حتى تغرب الشمس) ثم قال: وهذا الحديث هو **أثبت الأحاديث "**

٣-قد يذكر الأسانيد للأخبار ولكن ذلك قليل والأكثر ذكر الروايات للحديث بالمتن دون أسانيد:

"وقد روي من حديث أبي هريرة أيضا ولفظ حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ولتخرجن تفلات

وفي رواية أخرى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أيما امرأة تبخرت فلا تشهد معنا العشاء الآخرة" **وقد ذكرنا الأسانيد لذلك كله في التمهيد"**

(١٨) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٥٧)

الله عليه وسلم إذا شهدت إحداكن العشاء الآخرة فلا تمسن طيبا"· ٢_ **ذكر الأحاديث بأسانيدها سواء كانت شواهد ومتابعات أو أدلة في الخلاف، وذكر متن الحديث ولو طال ولا يقتصر على الشاهد _في الأكثر من فعله_** مثال ذلك: في أخذ الجزية من المجوس في البحرين فاستدل بهذا الحديث ذاكرا المتن والسند معا: فقال: "وأما الآثار المتصلة الثابتة في معنى حديث مالك[أي حديث الباب وهو منقطع] في أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من المجوس فأحسنها إسنادا ما حدثناه سعيد بن نصر قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال أخبرني أبي عن موسى بن عقبة قال قال ابن شهاب حدثني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة أخبره أن عمرو بن عوف وهو حليف لبني عامر بن لؤي وكان قد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة ابن الجراح يأتي بجزيتها يعني البحرين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صالح أهل البحرين فأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بالمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدومه فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى انصرف فعرضوا له فتبسم حين رآهم وقال أظنكم سمعت بقدوم أبي عبيدة وأنه جاء بشيء قالوا أجل فقال فأبشروا وأملوا فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكم أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم".	

وقد استخدم من ألفاظ التحمل والأداء _ في المواضع التي اخترتها_ أخبرنا، حدثنا، قرأت والأمثلة في ذلك تطول . **ب/ الحكم على الأحاديث** سواء كان بالضعف أو الصحة: ومن الأحكام التي استعملها "منقطع، فيه ضعف، مرسل، هذا لا يصح، صحيح، أصح" **ومن ذلك:** **١-الحكم على حديث الباب في بداية الشرح** **ومثاله:** قول: "مالك عن محمد بن يحيى بن حبان عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس وعن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس قال أبو عمر: هذا حديث لا يختلف في ثبوته وصحة إسناده". **٢- بيان علل الأحاديث،** مثال ذلك: "رواه ابن عيينة عن سعيد بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن قيس بن عاصم فغلط فيه ابن عيينة وإنما هو قيس بن عمرو". **٣- يفاضل في درجات الصحة، مثال ذلك:** "هذا أصح من حديث ابن أبي لبيد لذكر عائشة فيه" **ج/ الترجمة والحديث عن الرواة:** ابن عبد البر يترجم لأحد اثنين: **الأول:** شيخ مالك ويترجم له بترجمة وافية، كما سبق في التبويب **الثاني:** راو ضعيف، ويترجم له بإيجاز، ذاكرا اسمه، وسبب ضعفه.	
رابعا: الصنعة الفقهية: **وهي ثاني نقاط القوة في كتاب التمهيد، لاسيما إن وضعنا في الإعتبار أن ابن عبد**	**رابعا: الصنعة الفقهية:** **وهي نقطة القوة الكبرى في هذا الكتاب _ وتتجلى في العناصر التالية:**

البر لم يكن مجرد عالم مذهبي بل هو إمام مجتهد كما وصفه بهذا ابن حزم والذهبي[١٩] _ وتتجلى في العناصر التالية:

١-في عرض المسائل الفقهية يحرر ابن عبد البر محل النزاع أحيانا :مثال ذلك في الحديث عن الخلاف في الجزية، قال:"وأجمع العلماء على أن لا زكاة على أهل الكتاب ولا المجوس في شيء من مواشيهم ولا زرعهم ولا ثمارهم"، فعلمنا بذلك أن الزكاة لا خلاف فيها وأن الخلاف منحصر في الجزية.

٢- يذكر سبب الخلاف :مثال ذلك في النهي عن الصلاة بعد الصبح والمغرب قال: "وقد اختلف العلماء في هذا الباب اختلافا كثيرا لاختلاف الآثار فيه".

٣-يذكر الخلاف على المذاهب الأربعة ويستوعب الأقوال، ومن الألفاظ التي يستعملها في بدء ذكر الخلاف (واختلفوا، واختلف الفقهاء/العلماء) مثاله: وممن ذهب إلى تضعيف الصدقة على بني تغلب دون جزية الثوري **وأبو حنيفة والشافعي** وأصحابهم **وأحمد بن حنبل** قالوا يؤخذ منهم من كل ما منه بحساب"

٤-يعتني بتحديد قول الجمهور: مثاله: قال أبو عمر: قد روي عنه أن العنبر ليس فيه شيء إنما هو شيء دسره البحر **وعلى هذا جمهور العلماء**.

٥- يذكر مذاهب الصحابة في المسألة وخلافهم فيها ويذكر اتفاقهم أو اختلافهم فيما بينهم ومثال لهذا: "قال أبو عمر كان ابن عباس يذهب إلى أن أموال أهل الذمة لا

١-تحرير محل النزاع، ومثال ذلك: حين ذكر خلاف العلماء في هل المجوس أهل كتاب أو لا ثم قال: "وأي الأمرين كان فلا خلاف بين العلماء أن المجوس تؤخذ منهم الجزية"

٢-يذكر سبب الخلاف: فقد ذكر بعد أحاديث النهي عن الصلاة بعد طلوع الشمس وبعد غروبها

"وهي أحاديث صحاح لا مدفع فيها إلا أن العلماء **اختلفوا في تأويلها وفي خصوصها وعمومها** واختلف العلماء في هذا الباب اختلافا كثيرا **لاختلاف الآثار فيه"**

فأبان سبب الخلاف وهو الخلاف في تأويلها وهل هي خاصة أو عامة كما أن من الأسباب اختلاف الآثار الواردة.

٣-ذكر الخلاف على المذاهب الأربعة وغيرهم من العلماء، مع تقديم ذكر قول مالك قبل ذكر بقية العلماء:

" واختلف الفقهاء في مشركي العرب ومن لا كتاب له هل تؤخذ منهم الجزية أم لا

فقال مالك تقبل الجزية من جميع الكفار عربا كانوا أو عجما لقوله الله عز وجل (من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ، قال وتقبل من المجوس بالسنة، **وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه وأبي ثور وأحمد وداود وإليه ذهب عبد الله بن وهب"**

٤-ويظهر أيضا من المثال السابق: تقديم دليل مالك على ذكر أقوال من وافقه أو خالفه.

(١٩) ينظر: جوامع السيرة (ص: ٣٣٥).

شيء فيها"
٦-يذكر أقوال التابعين ومن بعدهم :مثال ذلك: فعند ذكره لقول من أجاز التطوع بعد العصر والصبح وأن النهي محصور بطلوع الشمس وغروبها قال: قوله "وهو قول عطاء وطاووس وابن جريج"[٢٠]
٧- يذكر رأي أبو ثور وداود الظاهري وإسحاق بن راهويه والأوزاعي وغيرهم من الأئمة: مثال ذلك: قوله عن الجزية: "وتقبل من المجوس بالسنة وعلى هذا مذهب الثوري وأبي حنيفة وأصحابه وأبي ثور وأحمد وداود"
٨- يذكر أدلة الموافقين، والمخالفين ووجه الدلالة ، ومن الألفاظ التي يستخدمها في الاستدلال: (حجة) (لقول) (استدل) (لأن)، مثال ذلك: "وحجة الشافعي ومن يذهب مذهبه ظاهر قول الله عز وجل قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" و**ذكر وجه الدلالة:** لأن قوله من الذين أوتوا الكتاب يقتضي أن يقتصر عليهم بأخذ الجزية دون غيرهم لأنهم خصوا بالذكر فتوجه الحكم إليهم دون من سواهم لقول الله عز وجل فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولم يقل حتى يعطوا الجزية كما قال في أهل الكتاب"[٢١].
٩- يذكر الإجماعات مثال: في الحديث عن الخلاف في الجزية :"وأجمع العلماء على أن لا زكاة على أهل الكتاب ولا المجوس في

٥-ويظهر أيضا ذكر الأدلة في المسألة ، وتقديم ذكر دليل الكتاب على غيره ثم السنة .

٦- يذكر خلاف الصحابة في ويذكر اتفاقهم أو اختلافهم فيما بينهم، ويذكر أن عمر خالفه ابنه أو "أن مذهب عائشة في ذلك كمذهب بن عمر"
٧- يذكر خلاف التابعين ومن بعدهم فيقول مثلا "وهو قول عطاء وطاوس وعمرو بن دينار وابن جريج"
٨- يذكر الأقوال داخل المذهب المالكي: "وبعض أصحاب مالك يرى الركوع للطواف بعد الصبح ولا يراه بعد العصر"
٩- يبرز قول الجمهور:
"وفي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة أهل الكتاب دليل على أنهم ليسوا أهل كتاب، وعلى ذلك جمهور العلماء"
١٠- يستنبط وجه الدلالة وقد يستخدم لفظة (وفيه دليل على) ،(ولما كان):"وفيه دليل على أنه لا يجوز للمرأة أن تتطيب في غير بيتها بطيب على حال من الأحوال وإذا تطيبت في بيتها فلا تخرج"
١١- يشرح الحديث بالحديث ومن ذلك أنه جمع بين حديث الباب وهو: إذا شهدت إحداكن صلاة العشاء فلا تمسن طيبا، فذكر حديثا آخر وهو:" لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ولتخرجن تفلات" ثم قال:
"ولما كان الأصل ألا تخرج امرأة إلا تفلة، وكان الوقت المعروف لتطيب النساء للرجال إنما هو بالليل، لأن الليل يجمع بين الرجل

(٢٠) ينظر: الملحق الأول، الموضع الثاني من التمهيد.
(٢١) ينظر: الملحق الأول، الموضع الأول من التمهيد.

شيء من مواشيهم ولا زرعهم ولا ثمارهم"

١٠- يذكر الاعتراضات على أدلة القول الراجح، ويجيب على هذه الاعتراضات :"فإن قال قائل كيف ادعيت الإجماع على أنه لا يجوز للمسلمين نكاح المجوسيات وقد تزوج بعض الصحابة مجوسية؟" **وأجاب على الاعتراض** "قيل له هذا لا يصح ولا يؤخذ من وجه ثابت وإنما الصحيح والله أعلم عن حذيفة أنه تزوج يهودية وعن طلحة بن عبيد الله أنه تزوج يهودية وقد كره ذلك عمر بن الخطاب لحذيفة رضي الله عنهما خشية أن يظن الناس ذلك" ثم سرد الأخبار بأسانيدها عن عمر رضي الله عنه في ذلك".

١١- يجمع بين الأحاديث:

فقد جمع في مسألة النهي عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر بين الأحاديث التي نهت عن الصلاة وبين الأحاديث التي ذكرت أداء الفرض والسنة بعد الصبح والعصر وقال: **"**إنما هو عن غير الصلاة المسنونات والمفترضات لأنه معلوم أن نهيه إنما يصح عن غير ما أباحه ولا سبيل إلى استعمال الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم إلا بما ذكرنا"

١٢- يعتني بالتخيير بين الصفات المتعددة للعبادات: "وذكر عبد الرزاق عن الثوري قال ذكرت عن عمر ضرائب مختلفة على أهل الذمة الذين أخذوا عنوة قال الثوري وذلك إلى الوالي يزيد عليهم بقدر يسرهم ويضع عنهم بقدر حاجتهم وليس لذلك وقت ولكن ينظر في ذلك الوالي على قدر ما يطيقون".

١٣- يعتني بالترجيح بين الأقوال، قد يرجح وامرأته، لإقباله من مصرفه إلى بيته ليسكن إلى أهله في ليله فتطيب امرأته، قيل لهن: من تطيب منكن قبل شهود العشاء فلا تشهد العشاء"

١٢- يناقش الأدلة مبينا ضعفها أو قوة أدلته :

ومن ذلك: في قول الشافعي أن المجوس أهل كتاب "وأظنه ذهب في ذلك إلى ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من وجه فيه ضعف يدور على أبي سعد البقال واسمه سعيد بن المرزبان وليس بقوي عندهم وقد سئل عنه أبو زرعة الرازي عنه فقال صدوق مدلس وقال مرة لين الحديث فيه ضعف قيل هو صدوق قال نعم كان لا يكذب" فأبان أنه حديث ضعيف .

١٣- يجمع بين الأحاديث:

يتضح ذلك في هذا المثال:

أما الصلاة بعد الصبح إذا كانت نافلة أو سنة ولم تكن قضاء فرض فلا تجوز لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب الشمس نهيا مطلقا إلا أنه موقوف على كل ما عدا الفرض من الصلاة لحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((من أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس أو من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك) يعني الوقت

فجمع بين أحاديث النهي عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر وبين حديث من أدرك ركعة .

١٤- يبين وجهة نظره ويعتني بالترجيح

"وبعض أصحاب مالك يرى الركوع للطواف

مذهب مالك أو يرجح غيره بالإجتهاد ومثاله: "وقول أحمد بن حنبل في المسألة كقول مالك **وهو الصواب"**

بعد الصبح ولا يراه بعد العصر ثم قال:
وهذا لا وجه له في النظر ولا يصح به أثر"

١٥- يذكر الإجماعات:
ومن ألفاظها عنده (لاخلاف فيه) "وهذا لا خلاف فيه بين العلماء إلا شيء يروى عن سعيد بن المسيب أنه لم ير بذبح المجوس لشاة المسلم إذا أمره المسلم بذبحا بأسا والناس على خلافه".

١٦- يذكر أن الأصل في العام بقاؤه على عمومه
في حديث: بن عباس قال حدثني رجال مرضيون منهم عمر - وأرضاهم عندي عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس ولا بعد العصر حتى تغرب الشمس"
وكذلك بن عباس روى الحديث في ذلك عن عمر عن النبي - عليه السلام - قال به على ظاهره وعمومه

١٧- ويشير لدلالة العام المراد منه الخاص:
وأما قوله: "سنوا فيهم سنة أهل الكتاب" فهو من الكلام الخارج مخرج العموم، والمراد منه: الخصوص لأنه إنما أراد سنوا بهم سنة أهل الكتاب في الجزية لا في نكاح نسائهم ولا في أكل ذبائحهم.

١٨ - يستدل بفعل الصحابة:
ففي أخذ الجزية من المجوس قال: "وفعله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم)"

١٩ تقديم مذهب الصحابي راوي الحديث إذا وافق ما رووه _عند خلاف الصحابة_:
"ومذهب مالك في ذلك **هو مذهب عمر بن الخطاب وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة** وهم رووا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى

	عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس وعن الصلاة بعد ال عصر حتى تغرب الشمس **وهم أعلم بما رووا"** **٢٠ -يستدل بسد الذرائع :** "وإنما خرج النهي عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر على **قطع الذريعة** لأنه لو أبيحت الصلاة النافلة بعد الصبح وبعد العصر لم يؤمن التمادي فيها إلى حين طلوع الشمس وغروبها، هذا مذهب عبد الله بن عمر وقال به جماعة" فذكر هنا مذهب ابن عمر أن النهي عن الصلاة ليست لذاته وإنما سدا لذريعة الصلاة حين الطلوع والغروب
خامسا: الإحالات: **يحيل ابن عبد البر بكثرة، وإحالاته تنصرف لأمرين :** **الأول:** مواضع أخرى في الكتاب نفسه، مع ذكر الباب وهي قسمان إحالة على ما مضى وإحالة على ما سيأتي. **ومثال ذلك لما مضى: "** وقد ذكرنا ذلك في باب زيد بن أسلم من كتابنا هذا عند ذكر حديث الصنابحي" **وللمستقبل قوله**: "وسيأتي ذكر قوله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا إماء الله مساجد الله في باب بلاغات مالك" **ولعل سبب هذا تفرق الأبواب الفقهية في كتابه وعدم اجتماعها في موضع واحد** **الثاني:** كتبه الأخرى ومنها الاستذكار، والإصابة ويسميه كتاب الصحابة، والكافي . **ومن ذلك قوله: "**وإنما هو قيس بن عمرو وقد ذكرناه في **الصحابة ونسبناه هناك** وهو	**خامسا: الإحالات:** **وله نوعين من الإحالات في الاستذكار** **أولها: يحيل على التمهيد في الأخبار والأسانيد وهذا كثير جدا وقد أحصيته عبر المكتبة الشاملة فبان على ما يزيد على الألف من الإحالات** ومن أمثلة ذلك قوله بعد أن يذكر أحديثا للاستدلال: "وقد ذكرنا الأسانيد لذلك كله في التمهيد**"** **ثانيها: يحيل على التمهيد في المعاني اللغوية، والشواهد الشعرية:** عند حديثه عن التفلات قال:"شرحنا معنى هذه اللفظة بشواهدها من الشعر **في التمهيد"**

جد سعيد وعبد ربه ويحيى بني سعيد الأنصاري"[٢٢]	
سادسا: الموارد: ينقل ابن عبد البر عن عدد من العلماء في مواضع كثيرة، يشير إليهم بأسمائهم دون كتبهم، ومنهم الشافعي، عبد الرزاق، أبي داود، الطحاوي، وإذا انتهى النقل يقول: قال أبو عمر: للإشارة إلى انتهاء النقل عنهم، ويناقش المنقول إن كان لا يوافقه، وإذا كان النقل لخبر فإنه ينقل عنهم بإسنادهم ولا يذكر إسناده إليهم. ويستخدم من الألفاظ: (قال وذكر) . **مثال ذلك:** قوله: "**قال أبو داود** وروى هذا الحديث عبد ربه ويحيى ابنا سعيد مرسلا أن جدهم صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وقوله: " **ذكر عبد الرزاق** أخبرنا ابن جريج عن نافع سمع ابن عمر يقول أما أنا فلا أنهى أحدا يصلي من ليل أو نهار غير أن لا يتحرى طلوع الشمس ولا غروبها فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك" [٢٣] "**وذكر الشافعي** عن عبد الله بن المؤمل عن حميد مولى عفراء عن قيس بن سعد عن مجاهد عن أبي ذر أنه أخذ بحلقة باب الكعبة فقال أتعرفونني من عرفني فأنا الذي عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت أذناي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا صلاة	**سادسا: الموارد:** في المواضع الثلاثة التي تمت دراستها وجدت نقلا واحدا عن عبد الرزاق باسمه دون الإشارة لكتابه وبذكر إسناده: قوله" ذكر عبد الرزاق عن بن جريج عن نافع أنه سمع بن عمر يقول أما أنا فلا أنهى أحدا يصلي من ليل أو نهار أي ساعة شاء غير ألا يتحرى طلوع الشمس ولا غروبها"

(٢٢) ينظر: الملحق الأول، الموضع الثاني من التمهيد.
(٢٣) ينظر: الملحق الأول، الموضع الثاني من التمهيد.

بعد الصبح حتى تطلع الشمس ولا بعد العصر حتى تغرب الشمس إلا بمكة"[٢٤].	
سابعا: ملاحظات عامة: **يستخدم جملة قال أبو عمر لعدد من الأغراض، منها:** الاستنباط، والتصحيح والتضعيف، وبعد النقل لبيان انتهاءه وإبراز رأيي أبي عبد البر، وللإحالة على موضع آخر، ومن أمثلة ذلك: **قال أبو عمر** هذا حديث لا يختلف في ثبوته وصحة إسناده قال أبو عمر في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجوس سنوا بهم سنة أهل الكتاب يعني في الجزية دليل على أنهم ليسوا أهل كتاب وعلى ذلك جمهور الفقهاء" **قال أبو عمر**: "هكذا قال عن بسر بن سعيد عن أبي هريرة وهو عندي خطأ وليس في الإسناد من يتهم بالخطأ فيه إلا أبو علقمة الفروي فإنه كثير الخطأ جدا والحديث إنما هو لبسر بن سعيد عن زينب الثقفية" _ يستوعب المسائل ويلم بها. _ لم أجد استطرادات في مواضع الدراسة _ منهجه مطّرد إلا أنه يقدم ويؤخر أحيانا.	**سابعا: ملاحظات عامة:** **يذكر فوائد أخرى عن حديث الباب ليس لها علاقة بالخلاف الفقهي:** " وذكر مالك عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما أدري كيف أصنع في أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة أهل الكتاب فذكر الحكم عليه بإيجاز ثم قال وفي حديث جعفر من الفقه: أن الحبر العالم قد يجهل ما يجد عند من هو دونه في العلم وفيه انقياد العالم إلى العلم حيث كان وفيه إيجاب العمل بخبر الواحد" **يذكر فائدة في غير مظنتها:** "مثل بيانه لمعنى تفلات رغم أنها لم ترد في حديث الباب الذي ينهى المتطيبة عن شهود العشاء " _ يوجز المسائل ويختصرها . _ منهجه مطّرد مع بعض التقديم والتأخير.

خاتمة :

أحمد الله تعالى في الختام على تمام هذا البحث، وأساله التوفيق والسداد وأود أن ألخص خاتمة هذا البحث فيما يلي:

- ألف الإمام ابن عبد البر _رحمه الله كتابيه_ التمهيد والاستذكار_ في شرح لكتاب واحد هو الموطأ.

(٢٤) ينظر: الملحق الأول، الموضع الثاني من التمهيد.

- كان تأليف للتمهيد كان من رغبة داخلية انبعثت في نفسه، وأما تأليف الاستذكار كان بطلب خارجي.
- رتب التمهيد على شيوخ مالك في الموطأ، واتبع فيه الحروف المغربية، وقد رُتب في التحقيق على الأبواب على الحروف المشرقية. وأما الاستذكار فمرتب على الأبواب.
- برزت الصنعة الحديثية في التمهيد، ومن ذلك:

● ذِكر الأحاديث بأسانيدها سواء كانت شواهد ومتابعات أو أدلة في الخلاف، وذكر متن الحديث ولو طال ولا يقتصر على الشاهد _في الأكثر من فعله.

● الحكم على حديث الباب في بداية الشرح، والحكم على غيره من الأحاديث _ عند الحاجة_ سواء كان بالضعف أو الصحة، ومن الأحكام التي استعملها "منقطع، فيه ضعف، مرسل، هذا لا يصح، صحيح، أصح" ، وبيان علل بعض الأحاديث.

● الترجمة والحديث عن الرواة، ويكون غالبا في: شيخ مالك في حديث الباب ويترجم له بترجمة وافية، أو راو ضعيف، ويترجم له بإيجاز، ذاكرا اسمه، وسبب ضعفه.

- برزت الصنعة الفقهية في الاستذكار، *وتتجلى في العناصر التالية*: تحرير محل النزاع، ذكر سبب الخلاف، ذكر الخلاف على المذاهب الأربعة وغيرهم من العلماء، ذكر الأدلة في المسألة، ذكر أقوال الصحابة والتابعين وذكر اتفاقهم أو اختلافهم فيما بينهم، ذكر الأقوال داخل المذهب المالكي، تحديد قول الجمهور، مناقشة الأدلة وبيان ضعفها أو قوتها.
- أحال ابن عبد البر بكثرة في التمهيد، وإحالاته تنصرف لأمرين: لما مضى، وللمستقبل، ولعل سبب هذا تفرق الأبواب الفقهية في كتابه وعدم اجتماعها في موضع واحد، وقد أحال على الاستذكار في ٦ مواضع، وأما في الاستذكار فقد أحال على التمهيد فيما يزيد على ألف موضع.

قائمة المراجع

١. **الاستذكار**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ – ٢٠٠٠هـ.

٢. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٣. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ.

٤. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (المتوفى: ٥٩٩هـ)، الناشر: دار الكاتب العربي – القاهرة، عام النشر: ١٩٦٧ م.

٥. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، الناشر: الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة، عام النشر: ١٩٦٦ م.

٦. درء تعارض العقل والنقل، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٧. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٨. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٩. منهج ابن عبد البر في كتاب التمهيد، الإعداد العلمي في موقع الجمعية السعودية للسنة النبوية -http://www.sunnah.org.sa/sunnah-sciences/modern-methods/686-2010-08-06-11-52-28

١٠. منهج المقارنة الفقهية عند ابن عبد البر من خلال كتابه الاستذكار، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، الباحثة سميرة عبدو، إشراف: موسى فلوسي، عام ٢٠٠٩_٢٠١٠م.

١١. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،

شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت – لبنان، الطبعة: ١٩٩٧م.